المعهد العسكري للوثائق والتقويم والاستقبالية
مجلة ستراتيجيا
الإيداع القانوني: 3027-2014 / ISSN: 2335-1705 / EISSN: 2830-9464
مجلة سداسية علمية محكمة تعنى بالمسائل المتعلقة بالدفاع والاستشراف

تحليل الخطاب السياسي لليمين المتطرف: من الأمننة إلى هندسة التهديد

Political Discourse Analysis of the Far Right: From Securitization to the Engineering of Threat

أ.د. إدريس عطية [1]

1. كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية-جامعة الجزائر3 (الجزائر)،

idriss.attia12@gmail.com

ملخص

يهدف هذا المقال إلى تحليل بنية وديناميات الخطاب السياسي لليمين المتطرف، باعتباره أداةً لإعادة تشكيل الرأي العام وتوجيهه وفق سرديات شعبوية متطرفة، تقوم على الإقصاء وصناعة العدو الرمزي، ويستند هذا الخطاب إلى أزمة الهوية، والخوف من الآخر، والرفض العنيف للتعددية، خاصة في السياق الأوروبي، ويتناول المقال الإطار النظري للتحليل، ثم السياقات المؤطرة لصعود الخطاب، وآلياته الداخلية، وانعكاساته السياسية والأمنية.

ويعالج هذا المقال الخطاب السياسي لليمين المتطرف في السياقين الأوروبي والغربي، بوصفه ظاهرة مركبة تمزج بين الراديكالية الإيديولوجية والأمننة وهندسة التهديد، بحيث يحلل المقال البنية الخطابية والمفردات والدلالات الرمزية التي يعتمدها هذا الخطاب من أجل الهيمنة على الرأي العام وتشكيل السياسات العامة، من خلال قراءة نقدية في المفاهيم، والنماذج التطبيقية مثل الهجرة واللجوء أو دعم الكيان الصهيوني أو العلاقة مع إيران، كما يعتمد المقال على أدوات تحليل الخطاب النقدي لفهم التحولات البنيوية التي تجعل اليمين المتطرف ينتقل من الهامش إلى المركز في صناعة المشهد السياسي وبناء الفضاء العام في القارة الأوروبية والغرب عموما.

كلمات مفتاحية: اليمين المتطرف، الخطاب السياسي، الشعبوية، الهوية، الإسلاموفوبيا، تحليل الخطاب، الأمننة.

Abstract

This article aims to analyze the structure and dynamics of the political discourse of the far right, as a tool for reshaping and directing

public opinion through populist extremist narratives rooted in exclusion and the construction of a symbolic enemy. This discourse is grounded in a crisis of identity, fear of the Other, and a violent rejection of pluralism, particularly within the European context. The article explores the theoretical framework for analysis, the contexts surrounding the rise of this discourse, its internal mechanisms, and its political and security implications.

It addresses the far-right political discourse in both European and Western settings as a complex phenomenon that combines ideological radicalism, securitization, and the engineering of threats. The article analyzes the discursive structure, vocabulary, and symbolic meanings employed by this discourse to dominate public opinion and influence policymaking. Through a critical reading of core concepts and case studies -such as immigration and asylum, support for the Zionist entity, or relations with Iran, the article relies on tools from critical discourse analysis to understand the structural transformations enabling the far right to move from the margins to the center of political influence and to shape the public sphere in Europe and the West more broadly.

Keywords: Far right, political discourse, populism, identity, Islamophobia, discourse analysis, securitization.

مقدمة

شهد العالم الغربي، منذ مطلع الألفية الثالثة، تصاعدًا ملحوظًا في حضور التيارات اليمينية المتطرفة داخل المشهدين السياسي والإعلامي، حيث تحوّلت من حركات هامشية إلى قوى فاعلة ومؤثرة في صنع القرار وتوجيه الرأي العام. وقد ترافق هذا الصعود مع أزمات بنيوية معقّدة، أبرزها أزمة الهجرة، وتصاعد العمليات الإرهابية، وتراجع الثقة في المؤسسات الليبرالية، ما وفّر مناخًا خصبًا لتغلغل خطابات التهويل، الإقصاء، والشعبوية.

في هذا السياق، لم يعد خطاب اليمين المتطرف مجرد تعبير عن احتجاج سياسي، بل تحوّل إلى نظام لغوي وإيديولوجي متكامل، يعيد إنتاج الواقع من خلال آليات خطابية محكمة، تعمل على صياغة التهديد، وتشكيل الوعي الجماعي، وخلق صورة عدو خارجي وداخلي يتم تحميله مسؤولية كل الانهيارات المجتمعية. فاللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل وسيلة لإنتاج الهيمنة وترسيخ الإقصاء وتبرير العنف الرمزي أحيانًا والمادي أحيانًا أخرى.

إن هذا الخطاب يقوم على حزمة من الآليات الخطابية التي تشمل التكرار، الأمننة، هندسة التهديد، صناعة العدو، الثنائيات القطبية، التهويل العاطفي، واستدعاء الرموز التاريخية؛ في تواشج وثيق مع آليات إيديولوجية تروّج لمفاهيم مثل النقاء العرقي، الهوية القومية، العداء للإسلام، ونظرية «الاستبدال الكبير». ويتّضح من خلال هذا التزاوج بين الخطابي والإيديولوجي أن خطاب اليمين المتطرف لا يهدف فقط إلى التأثير، بل إلى الهيمنة على المجال الرمزي والسياسي، وفرض سردية أحادية تستبعد الآخر المختلف ثقافيًا أو دينيًا أو سياسيًا.

ومن هنا، تكتسي دراسة هذا الموضوع أهمية علمية ومنهجية بالغة، لأنها لا تكتفي بتشخيص ظاهرة سياسية معاصرة، بل تسعى إلى تفكيك البُنى العميقة للخطاب اليميني، وتحليل الأدوات التي يستخدمها لإنتاج الخوف والعداء، واستكشاف الخلفيات الإيديولوجية التي تغذّيه، في ظل تحولات جيوسياسية وثقافية متسارعة تعيد تشكيل أنماط التفاعل بين الشعوب والهويات والدول. **وفي هذا الإطار نطرح الإشكالية التالية:**

كيف يشكل الخطاب السياسي لليمين المتطرف أداة رمزية لإنتاج الكراهية، واستقطاب الدعم الشعبي لسرديات ما قبل القومية، وما هي محدداته البنيوية والرمزية التي تساهم في إعادة إنتاج هذا الخطاب داخل الحقل السياسي الغربي؟

الفرضيات

- يقوم خطاب اليمين المتطرف على تحويل الخوف من الآخر، إلى رأسمال سياسي.
- يتمظهر هذا الخطاب في سرديات هوياتية تقوم على الثنائية (النحن/هم).
- يساهم تحليل الخطاب النقدي في الكشف عن البنية الإيديولوجية الخفية لخطاب الكراهية.

المحور الأول: الأمننـة وبناء التهديد عن طريق الخطاب السياسي في التحليل الكوبنهاجني

تمثل مدرسة كوبنهاجن ***The Copenhagen school*** أولى المدارس التي حاولت أن تناقش الأمن بشكل مبكر والتي ارتبطت كثيرا بمعهد دراسات السلام الذي أنشئ في كوبنهاجن في سنة 1985 إلى غاية غلقه سنة 2004، حيث شكل هذا المعهد منبر نظري مهم لدراسة الشؤون الأمنية (عطية، 2022، 124 - 160).

يعد انضمام "باري بوزان" *Barry Buzan* سنة 1988 كمدير لإحدى المشاريع البحثية داخل المعهد تحت عنوان "**الأبعاد غير العسكرية للأمن الأوروبي**" نقلة نوعية شهدها معهد أبحاث السلام بكوبنهاجن، ليلتحق بعد ذلك "أول ويفر" *Ole Wæver* واشتراكه مع "بوزان" في تأليف العديد من الأعمال.

وتعتبر مدرسة كوبنهاجن (Barry Buzan, 1990) ورائدها «باري بوزان» أوّل المساهمين في إعادة صياغة مفهوم الأمن وفتح مجالاتٍ جديدةٍ للبحث في حقل الدراسات الأمنية منذ العقد الثامن من القرن العشرين. وقد انطلق بوزان ومدرسة كوبنهاجن من إرادةٍ في تأسيس مسار خاص للدّراسات الأمنية يسمح بالتغلّب على حدود الدراسات الاستراتيجية التقليدية والمقاربات الكلاسيكية في العلاقات الدّولية، عن طريق مد مجال البحث إلى أبعد من الجانب العسكري البحت وتعميقه أكثر من العلاقات بين الدّول فقط.(Jef Huysman, 1998, 479).

وممّا تجدر الإشارة إليه أنـّه على مستوى نظرية العلاقات الدّولية، فإنّ مقاربة مدرسة كوبنهاجن هي تقريبًا "**غير قابلةٍ للتصنيف**"، فـ"ماك سويني" *McSweeney*

يعتبر أنّ أغلبية أعمالها "**موضوعيةٌ وواقعيةٌ**"، في حين أنّ "هويزمانز" *Huys mans* و"ويليامز" *Williams* يعتبرانها "**خليطًا من الواقعية والبنائية**",(Alex Macleod, 2004, 13-14).

يعرّف بوزان الأمن المجتمعيّ على أنّه "استمرار -في ظلّ شروطٍ مقبولةٍ للتطوّر- أنماطٍ تقليديةٍ للّغة والثقافة، وكذا للهوية والممارسات الوطنية والدينية" لمجتمع من المجتمعات. ويعرّفه "أول ويفر" *Ole Wæver* بأنّه "**قدرة مجتمع على حماية هوّيته في مواجهة تهديداتٍ كامنةٍ أو حقيقيةٍ**" .(Thierry Balzacq, 2014, 09)

أولا: الأمن المجتمعي ونقاش/حدود الهوية

يعتبر مفهوم الأمن المجتمعيّ واحدًا من الإضافات الجديدة لمدرسة كوبنهاجن إلى حقل الدراسات الأمنية انبثق عن الإقرار بوجود وحداتٍ مرجعيّةٍ للأمن غير الدّولة.

وقد طُوّرَ هذا المفهوم داخل مدرسة كوبنهاجن خصوصًا من طرف «أول ويفر» (Ole Wæver, 1998, 89) الذي أحدث به قطيعةً مع الدراسات الكلاسيكية المتمحورة حول الدّولة. ويؤكّد ويفر أنّ العولمة الحاليّة أثّرت على الدول، لكن ليس بالدرجة نفسها التي أثّرت بها على المجتمعات، فالدول عرفت تغييرًا في وظائفها في ظلّ العولمة دون أن تلغي هذه الأخيرة من سيادتها، أمّا المجتمعات، فإنّ هوّيتها أصبحت على المحكّ في مواجهتها لمجموعةٍ من الظواهر الجديدة كتصاعد وتيرة الهجرات، الاستيراد الكبير للسلع الثقافية الأجنبية، وتصاعد ديناميكية الاندماج ضمن كياناتٍ أوسع، وهي ظواهرٌ تهدّد الهوية الوطنية والدينية للمجتمع، "**من الآن فصاعدًا، ستصبح بالأحرى التخوّفات المرتبطة باللا أمن، بالآخر، بالهجرة، بالغزو، بفقدان القيم الثقافية وأنماط الحياة هي ما يشغل الأفراد**". (Ayse Ceyhan, 1998, 46)

والأمن المجتمعيّ مرادفٌ لـ"**البقاء الهوّيتي** *Survie identitaire*"والذي يشير إلى ظهور شعور **الـ"نحن"** المتميّز عن **"الآخر"**، هذا **"الآخر"** سواء كان إثنيةً أو طائفةً دينيةً أو غيرهما فإنـّه يُنْظَرُ إليه كتهديدٍ من طرف **الـ"نحن".**(Ayse Ceyhan, 1998, 46)

إذًا، بناءً على التقسيم القطاعيّ للأمن الذي قدّمته مدرسة كوبنهاجن، نستنتج أنّ الوحدة المرجعيّة للأمن تختلف باختلاف القطاع:

- الدّولة (خاصّة قوّاتها المسلحة) وبعض الكيانات السياسية الأخرى هي الوحدات المرجعيّة للقطاع العسكـــــري؛
- في القطاع السياسي، فإنّ السيادة، القيم والأيديولوجية التي تتبنّاها وتدافع عنها الدّولة يمكن أن تكون وحدةً مرجعيةً؛
- التموين بالموادّ الأوّلية يمكن أن يصبح وحدةً مرجعيةً للأمن في قطاعـــــــه الاقتصادي؛
- الهويّة الجماعية لأمّة ما أو لأقليةٍ معينة يمكن أن تكون وحدةً مرجعيةً للأمن المجتمعيّ؛

• الحفاظ على المحيط الحيوي وتنوّعه في القطاع البيئي يمكن أن يكون وحدةً مرجعيّةً للأمن البيئي. ويمكن أن نلخّص ما قلناه حول توسيع وتعميق مفهوم الأمن (الوحدات والقطاعات) في الجدول التحليلي التالي:

توسيع / تعميق		قطاعات الأمن				
		اقتصادي	عسكري	سياسي	مجتمعي	بيئي
مستويات التحليل	النظام الدولي	توسيع وتعميق مفهوم الأمن حسب مدرسة كوبنهاجن				
	الأنظمة التحتية					
	الوحدات/الدول					
	الوحدات التحتية					
	الأفراد					

الشكل رقم 01: توسيع وتعميق مفهوم الأمن

وإن كان المفكّرون المنتمون لمدرسة كوبنهاجن قد أكّدوا على اتساع وعمق مفهوم الأمن من خلال تحليله قطاعيًا، فإنّهم أكّدوا أيضًا إدراكهم للأخطار المرتبطة باستخدام مفهوم موسّع ومعمّق للأمن، ويقرّون بأنّه يوجد حقيقةً احتمالٌ لـ**"تمييعه"**,(Jef Huysman, 1998, 483)، وهو ما يمكن أن يؤدّي إلى التأثير سلبًا على الترابط الفكريّ للدراسات الأمنية، لأنّ التوسيع غير المضبوط قد يؤدّي إلى الخروج عن موضوع هذه الدراسات إلى مجالاتٍ أخرى لا صلة لها بالأمن[1]، لذا نجدهم يقترحون اقتصار مجال دراسات الأمن على التهديدات التي تستجيب إلى الشروط التالية :(Ole Wæver, 1998, 117)

• أن تتطلّب معالجة التهديد وسائل خاصة (مثل استخدام العنف المشروع، القوّة والسلطات الخاصّة)، وهي وسائلٌ حكرٌ على الدّولة التي تملك صلاحية اللجوء إليها من أجل تحييد التهديد؛

• أن تكون التهديدات وجوديّةً (existentielles)، أي يجب أن تؤثّر على بقاء ووجود الوحدات المرجعيّة (الدّولة، المجتمع، الأمّة أو غيرها).

ثانيا: الأمننة وبناء التهديد

من الإسهامات الأصيلة لمدرسة كوبنهاجن، والذي يمكن أن نعتبره «**اختراعًا**» غير مسبوقٍ من طرف هذه المدرسة، مفهوم الأمننة أو إضفاء الطابع الأمني (*Securitization/Sécurisation*) المطوّر أساسًا من طرف "أول ويفر"، وبدرجةٍ أقلّ، "باري بوزان".

ويهدف هذا المفهوم بالأساس إلى تجاوز الصعوبات التي تواجه تقديم تعريفٍ للأمن يمكن أن يحظى بالإجماع، فكلّ التعاريف المقدّمة للأمن لابدّ وأن تواجه مشكلاً ما عند تطبيقها،

(1). يضرب «ويفر» مثالا هنا بتعريف «جون غالتونغ» Jhon Galtung الذي يرى أن الأمن هو «**كل ما يساهم في رفاهية الفرد**»، وحسب «ويفر» **فإن هذا التعريف غير عملي ويخرج عن الدائرة الحقيقية للدراسات الأمنية**.

لهذا فإنّ أفضل كيفيةٍ لتجاوز هذا النقص هي اللجوء إلى الأمننة التي تسمح بتكييف رهاناتٍ وقضايا ما على أنــّها تهديداتٌ أو مشكلاتٌ أمنيةٌ تتطلّب معالجةً استثنائيةً.

بالنسبة لدلالة مفهوم الأمننة، فقد عرّفه كلّ من "ويفر" و"بوزان" **بأنــّه "فعل خطابي (*Speech Act*) ناجحٌ والذي عبره يتمّ بناء فهم تذاتاني**[2] **(*Intersubjective*) في مجموعةٍ سياسيّةٍ لمعالجة شيءٍ ما على أنّه تهديدٌ وجوديٌ لقيم وحدةٍ مرجعيّةٍ معيّنةٍ، للتمكّن من اللجوء إلى تدابير استعجاليةٍ واستثنائيةٍ للتعامل مع هذا التهديد**" (Holger Stritzel, 2007, 358)

بتعبير آخر، الأمننة هي ذلك "**البناء اللغوي البراغماتي**" الممارس من نخبةٍ مّا والقائم على الاستدلال بوجود تهديدٍ يمسّ البقاء الماديّ و/أو المعنويّ لمرجعيّةٍ أمنيّةٍ ما (قد تكون الفرد أو الجماعة أو الدّولة أو الهوية) بهدف شرعنة اللجوء لترتيباتٍ استثنائيةٍ، الغاية منها تأمين "الكيان/المرجعيّة" محلّ التهديد من المخاطر المحدقة به (عادل زقاغ، 2009، 129).

إذاً، وفي اعتقاد "ويفر"، فإنّ مسألةً اجتماعيةً تصبح رهانًا أمنيًّا عبر عمليةٍ خطابيةٍ للأعوان الاجتماعيين الذين يتوصّلون إلى أمننة رهان اجتماعيّ بفضل قوّة اللغة والخطاب عبر تصويره أو تعريفه كما وأنّه قضيّة أمنيّة ظاهريةٌ أو ضمنيّة والحصول انطلاقًا من هذا على حقّ معالجته معالجةً غير عاديةٍ مقارنةً بالرهانات المجتمعيّة الأخرى التي ليست موضوعًا لعمليّة أمننة، والتي يتواصل التعامل معها بمعالجةٍ سياسيّةٍ روتينيةٍ عاديةٍ (Matt McDonald, 2008, 70)، فالحديث عن مشكل ما على أنّه أمنيٌّ يعني حصر الخطاب حوله ضمن منطق (**تهديد/دفاع**) ممّا يتطلّب ضرورة تدخّل الدّولة.

ويعطي "ويفر" مثالاً بالهجرة التي أصبحت رهانًا أمنيًا منذ أن أصبحت موضوعًا لعملية أمننة خلال عشرية الثمانينيات، إذ اعْتُبِرَ المهاجرون كتهديدٍ للهوية الوطنية بمعناها الثقافي بالرغم من أنّ الهجرة قبل عملية أمننتها كانت تعالج من مقاربةٍ اقتصاديّةٍ على طول سنواتٍ ماضيةٍ، حين كان يُنظر إلى المهاجرين كقوى عمل يمكن توظيفها والاستفادة منها اقتصاديًا.

عمومًا، فإنــّه "باستثناء دبَّابات الهجوم التي تخترق الحدود لا يوجد إلاّ القليل من التهديدات الموضوعية" (Matt McDonald, 2008, 70)، فإذا أصبحت قضية مّا تهديدًا أو مشكلاً أمنيًا فلأنّ النخب اعتبرتها كذلك.

(2). التذاتانية من المفاهيم الأساسية التي جاءت بها البنائية، فالأخيرة تتميز بعدم تفسيرها للواقع حسب توزيع القوى المادية (مثلما هو الأمر بالنسبة للمقاربات الوضعية) بل تعتمد على الأفكار والعلاقات الاجتماعية بين البشر التي تجد مصدرها في الوعي الإنساني. إذا، تنظر البنائية للواقع نظرة تذاتانية: الواقع هو حصيلة ذلك الاتصال الاجتماعي الذي يكفل له بتقاسم بعض المعتقدات والقيم، وبخصوص «مفهوم الأمننة/الخطاب المتطرف» (موضوع دراستنا) يمكن القول أن ليس له مضمون محدد سلفا لأنه يتغير بشكل ديناميكي عبر التفاعل التذاتاني (Intersubjectivité) بين الفواعل، من هنا فإن تأويل أفعال وتصرفات الدول الأخرى من طرف دولة ما جزء لا يتجزأ من وجودها الجماعي.

وعليه، فإنّ مصدر فعل الأمننة الرئيس هو النخب التي عبر هذه العملية (الأمننة) تتمكّن من اللجوء إلى أدواتٍ خاصّةٍ وحلول طارئةٍ محاطةٍ بالسّرية ومستثناةٍ من الرقابة والشفافية التي تميّز القرارات الأخرى المعتادة، لأنّ خطابات الأمننة تصوّر للمتلّقين/المستمعين أنـّه في حال عدم ضبط الرهان المُؤَمْنَنْ (التهديد) بصفة مستعجلةٍ، فإنـّه من المحتمل جدًّا "**أن لا نكون هنا مستقبلاً للتعامل معه لأنـّه سيمسّ ببقائنا**" (عادل زقاغ، 2009، 130).

بيد أنَّ إهالة الطابع الأمنيّ على قضيةٍ ما ليس متروكًا دون قيودٍ، بل توجد قواعدٌ دونها قد يُضْفَى الطابع الأمني على كل القضايا والرهانات السياسية الأخرى، "**الأمن له قواعده الخاصّة، وبالتالي لا يجب الخلط بين مسألةٍ أمنيّةٍ ومشكل سياسيّ**"Alex (Macleod, 2004, 13-14)، ويسمّي بوزان هذه القواعد بـ"**خطوات الأمننة**":(عادل زقاغ، 2009، 131).

- توضيح كيف يمسّ هذا التهديد المزعوم ببقاء الأفراد والجماعات؛
- تحديد التدابير الطارئة التي يمكن من خلالها ضبط هذه التهديدات والسّيطرة عليها؛
- مدى نجاح الخطاب في الحصول على رضى المواطنين إزاء ما يرافق الأمننة من خرقٍ لقواعد الرقابة والشفافية.

إعتمادًا على الشروط السابقة، لا يُستبعد أن توظّف عملية الأمننة لأغراض خاصّةٍ وشخصيّةٍ من طرف النخب، أي تصوير رهان على أنّه يمسّ ببقاء ووجود المتلقّين، في حين أنّه موضوعيًا لا يمسّ إلاّ بمصلحة النخب المخاطبة. وقد أشار بوزان إلى هذا الجانب السلبيّ، لأنّ إضفاء الطابع الأمنيّ على ملفٍ ما ينمّ على فشل السياسة العادية في التعاطي معه من جهة، ولأنّ المعالجة الأمنيّة تمثل تجاوزًا للخطوات الديمقراطيّة في صنع القرار وشفافيّته، وبالتالي ابتعاد النخب عن دائرة المحاسبة والرقابة التي تترتّب عن القرارات العادية والروتينية، من جهةٍ ثانية (عادل زقاغ، 2009، 131).

وإن كان **نزع الطابع الأمني** ***(Desecuritization/Désécurisation)*** يمثّل حلاً للمشكل السابق حسب "بوزان"، فهذا لا ينفي أنّ الأمننة "لا تقدم لنا بدائلاً بخصوص ما يجب أن يحظى بالعلاج الأمنيّ من عدمه" (MattMcDonald, 2008, 70).

وتواجه الأمننة مشكلاتٍ أخرى أيضًا: أوّلاً، أنّ الخطابات بالأساس معنويّةٌ ولا يوجد ضمان لنجاحها (Matt McDonald, 2008, 70)،: **ما الذي يضمن أنّ المخاطب "أ" والمستمع/المتلقّي "ب" يحملان القاعدة المعنوية نفسها لتفسير "ج" (موضوع الخطاب) كمسألةٍ أمنيّةٍ؟ هذا يفترض وجود سلطةٍ قويةٍ جدًّا لـ"أ" على "ب".** (Matt McDonald, 2008, 74 -75).

ثمّ إنّ هناك بعض المسائل لا تحتاج إلى إهالة طابع أمنيّ عليها حتّى نلفت الانتباه إلى أنـّها مشكلةٌ أمنيّة أو تهديدٌ، وأحسن مثال على هذا هو التهديدات الطبيعيّة التي تنجرّ عن الكوارث، فإعصارٌ أو زلزالٌ يجب التعامل معه بطريقةٍ أمنيةٍ ووفق إجراءاتٍ خاصّةٍ وطارئةٍ دون اللجوء إلى عملية شرعنةٍ لهذه الإجراءات، لأنّ زلزالاً أو إعصارًا ــ مثلاً ــ هما في حدّ ذاتهما مشكلان أمنيان.

وبالرغم من هذه النقائص، فإنّ إسهامات مدرسة كوبنهاجن حول مفهوم الأمننة قد شكّلت قاعدةً فكريّةً لدراسات لاحقةٍ تبنّت هي الأخرى فكرة بناء التهديد والطابع التذاتاني للأمن، هذه الدراسات هي بالأساس الدراسات النقدية التي تصنّف كتيّار ثالثٍ في الدراسات الأمنية، نظرًا للإضافات والاختلافات التي ميّزت مقاربتها للأمن مقارنةً بالمقاربات التي تعرّضنا لها إلى حدّ الآن.

وبشكل عام، فالأمن وفق مدرسة كوبنهاجن هو إضفاء الطابع الأمني على قضية لم تكن تعتبر أمنية قبل التكلم عنها، فتنتقل القضية من عالم السياسة الدنيا *Low politics* (والتي تحددها القواعد الديمقراطية وإجراءات اتخاذ القرار) إلى عالم السياسة العليا *High Politics* (والتي تتميز بالاضطرارية والأولوية الملحة والتي لا تحترم التدرج القانوني في معالجة القضية).

المحور الثاني: هندسة التهديد في منطلقات الخطاب السياسي لليمين المتطرف

يعتبر اليمين المتطرف تيار سياسي يتبنى رؤى راديكالية تقوم على رفض التعددية الثقافية وحنين إلى الهوية القومية النقية، ويتجلى في خطابه التركيز على قضايا الهجرة، الأمن، الهوية، والرفض الجذري للنخب التقليدية، ويتبنى اليمين المتطرف خطابًا يقوم على ثنائية الخير والشر، العدو الداخلي والخارجي، والخطابة العاطفية[3].

يُثير الصعود المُطرد والملحوظ للتيارات اليمينية في أوروبا، على اختلاف درجة تطرفها وحدتها، العديد من التساؤلات حول طبيعة السياسة الخارجية التي ستتبناها تلك التيارات تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل أزمات اللاجئين الضاغطة على أوروبا، وطبيعة التوازنات وخريطة التحالفات السياسية التي ستُساهم تلك التيارات في تشكيلها مع دول المنطقة. (Zúquete José Pedro, 2018, 82-83)

وليس من شكٍّ في أن الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها القارة الأوروبية في الفترة الماضية قد أوجدت بيئة خصبة لنمو تلك التيارات، وخاصةً ناحية نظرتها للمهاجرين، لا سيما القادمين من مناطق الصراع في الشرق الأوسط، بما جعل تلك التيارات المختلفة تتفق على كون المهاجرين يهددون القومية الأوروبية من خلال أسلمة أوروبا، بما يهدد الأفكار الأوروبية القائمة على العلمانية وفصل الدين عن الدولة، بالإضافة إلى أنهم يسيئون استغلال مزايا دولة الرفاه (كبرامج الإعانة وغيرها)، طبقًا للفكر اليميني.

(3). يشير اليمين المتطرف إلى تيارات سياسية تتبنى نزعة قومية متشددة، ومعادية للهجرة، وتناهض العولمة والتعدد الثقافي، وتدعو إلى دولة قومية قوية و"نقية". وهو يتميز عن اليمين المحافظ الكلاسيكي في طابعه الراديكالي وأساليبه الشعبوية.

أولا: السياقات السياسية والاجتماعية لصعود الخطاب اليميني المتطرف

نجح التيار اليميني المتطرف خلال السنوات الأخيرة في أن يقدم نفسه للشعب الأوروبي كبديل عن التيارات المحافظة الأخرى، مستغلاً المستجدات الطارئة على الخارطة الإقليمية والدولية التي تُهدد أمن واستقرار المواطن الأوروبي كما روَّجت لذلك الآلة الإعلامية لهذا التيار.

وتُثبت نتائج بعض الاستحقاقات الانتخابية الأخيرة التي تمت على مستوى بعض دول الاتحاد الأوروبي، والتي حققت فيها الأحزاب اليمينية المتطرفة تقدمًا ملحوظًا، مدى صعود اليمين وحجم تأثير أفكاره على المواطنين الأوروبيين، بما سينعكس على علاقاته الدولية والإقليمية.

كما أن تراجع الأوضاع الاقتصادية والمالية والاجتماعية في أوروبا أحدثت فراغًا سياسيًا استثمره اليمين المتطرف بخطاب يعد بـ«استعادة السيادة الوطنية»، سواء بعد أزمة 2008، أو من خلال محاولات التعافي الاقتصادي لمرحلة ما بعد كوفيد-19.

كما أن الهجرة بكل أشكالها ومصادرها، خاصة في الدول العربية والإسلامية، تصور كتهديد ثقافي، وديمغرافي، واستغلته الأحزاب اليمينية المتطرفة في خطابتها مجسدة بذلك خطاب متصلبا من الكراهية والعنف، كل هذا أمام تراجع أداء الأحزاب التقليدية وهذا مما أتاح فراغًا استغله اليمين المتطرف لإعادة صياغة الأجندة السياسية.

ثانيا: الآليات الخطابية والأيديولوجية في خطاب اليمين المتطرف

الآليات الخطابية هي الوسائل اللغوية والأسلوبية التي يستخدمها الفاعلون السياسيون لإنتاج المعنى، والتأثير في المتلقي، وخلق صورة للذات والآخر داخل خطاب سياسي معيّن، في حالة اليمين المتطرف، تخدم هذه الآليات هدفًا تعبويًا، يستبطن الخوف والكراهية ويعيد إنتاج الانقسام الثنائي في المجتمع.

1. **ثنائية «النحن/هم»: ترميز الهوية والعداء:** يركز الخطاب على خلق حدود بين «المواطن الأصيل» و«الآخر» مما يعزز الانغلاق الهوياتي، ويقوم خطاب اليمين المتطرف على تقسيم العالم إلى معسكرين متضادين، فخطابيًا تُستخدم هذه الثنائية لصياغة سردية درامية تقوم على المواجهة والصراع الوجودي، وإيديولوجيًا ترسّخ هذه الثنائية عقيدة «**الهوية المغلقة**» التي ترفض الاختلاف وترى التعددية تهديدًا وجوديًا، وكمثال: عبارة مثل «**نريد استعادة بلدنا**» تختزل هذه الثنائية في معادلة شعب مقابل عدو خفي(Camus Jean-Yves & Lebourg Nicolas 2017, 96) .
2. **هندسة التهديد وصناعة الخوف**[4]: باعتباره أحد المحاور المركزية في خطاب اليمين المتطرف هو تحويل الظواهر الاجتماعية (الهجرة، الإسلام، العولمة) إلى تهديدات أمنية وثقافية، فخطابيًا التكرار والإلحاح (Repetition & Urgency) يرسّخ صورًا ذهنية حول«**أسلمة أوروبا**»، «**خطر الهجرة**»، «**الهوية مهددة**»، ويستخدم الخطاب ألفاظًا دراماتيكية مثل: غزو – انهيار – نهاية الحضارة – مؤامرة كبرى، كما أن التكرار المستمر لشعارات بسيطة يخدم

(4). المفهوم المفتاحي هنا هو «الأمننة» (Securitization): تحويل قضايا غير أمنية إلى تهديدات وجودية تتطلب إجراءات صارمة.

عملية «الميثولوجيا السياسية» أي تحويل المخاوف إلى عقيدة جماهيرية، ويُستخدم خطاب التخويف والانفعال (**الطوفان الديموغرافي، الإرهاب، المؤامرة**)، وإيديولوجيًا هذا التخويف يُنتج منطقًا تبريريًا لسياسات التمييز والإقصاء ويشرعن التدابير الاستثنائية باسم «**حماية الأمة**».

3. **النوستالجيا القومية: تمجيد الماضي ونفي الحاضر:** (Wodak Ruth ,2015,33). أعاد الخطاب اليميني المتطرف تشكيل الذاكرة الجماعية من خلال التمجيد المفرط للماضي القومي، والحنين إلى زمن «الصفاء الوطني»، فخطابيًا يُستخدم الماضي كمصدر شرعية (مثل استدعاء رموز من الحرب العالمية، الاستعمار، البعد الديني...) إيديولوجيًا: يشكل ذلك أساسًا لرفض الحداثة الليبرالية والتعدد الثقافي، والمطالبة بالعودة إلى «النموذج القومي الخالص»[5].

4. **نقد النخبة الحاكمة والتعبئة الشعبوية:** يشيطن اليمين المتطرف النخب السياسية، الثقافية والإعلامية، ويصوّرها على أنها خائنة ومنفصلة عن الشعب، فخطابيًا: يتم استخدام لغة عامية مباشرة، مع شعارات ضد النخب مثل: «الإعلام يكذب»- «النخبة تبيع وطنها» وتتجسد هذه النزعة في شعبوية استبعادية تعادي المؤسسات وتفضّل سلطة قوية تُمثّل «الإرادة الشعبية الأصيلة»، والشعبوية هنا ليست شمولية فحسب، بل تقوم على تطهير السياسة من التعقيد والمؤسسات وتحويلها إلى مواجهة بين «شعب خيّر» و«نخبة فاسدة» (Imran Awan, 2014, 42-56).

5. **تبسيط العالم وتكثيف الرموز:** يعتمد اليمين المتطرف على خطاب مبسّط يختزل التعقيد السياسي في شعارات قوية وصور ذهنية واضحة، بحيث يُستخدم التكرار، الجُمل القصيرة، والصور القوية (الجدار، الطوفان، الحصن...)، وهذا الخطاب يخاطب العاطفة لا العقل، ويحول السياسة إلى مسرح تعبوي شعبي قائم على الرموز لا على الوقائع أو البرامج، وتبنى هذه العقيدة على رموز مشحونة عاطفيًا (العَلَم، الدين، اللغة، الأرض...) تُستثمر في التعبئة ضد الآخر (الطائر يوسف، 2020، 141-156).

المحور الثالث: التأثيرات السياسية والأمنية للخطاب اليميني المتطرف

تختلف درجة انخراط بعض الدول الأوروبية في ملفات تخص بعض مناطق العالم، باختلاف خصوصية كل دولة، وطبيعة المصالح التي تربطها بدول المنطقة بشكل عام، بيد أن طبيعة تلك السياسات من المتوقع أن تتخذ منحى مختلفًا في ظل سيطرة التيارات اليمينية المتطرفة في بعض دول أوروبا؛ لأنها ستتخذ اتجاهًا قوميًّا أكثر تشددًا تجاه أزمات المهاجرين وطبيعة التعاطي معها.

وتتمثل أبرز الملفات التي ستسعى تلك التيارات للتعاطي معها في المنطقة فيما يلي:

أولا: الهجرة واللاجئون: يأتي على قمة أولويات التيارات اليمينية المتطرفة قضية الهجرة، وتدفق اللاجئين، لا سيما من الدول التي تشهد صراعات مسلحة إلى دول القارة الأوروبية؛ إذ

(5). هذا النوع من النوستالجيا يُحول الماضي إلى «يوتوبيا رجعية» تُستخدم في تأليب الرأي العام على الواقع.

تتشارك غالبية تلك التيارات في رفض استقبال المهاجرين من كافة أنحاء العالم، حيث أعطت الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها القارة الأوروبية في الفترة الأخيرة الفرصة للتيارات القومية لتبني نبرة خطابية عدائية تجاه المهاجرين، لكونهم -وفقًا لتلك التيارات- لا يهددون الأمن الأوروبي فحسب، بل أيضًا الهُوية الأوروبية، ويضيفون أعباء اقتصادية جديدة على معظم الدول الأوروبية (Ulrich Beck, 2011, 33).

وقد بدا ذلك واضحًا في الآراء التي تبنتها بعض الأحزاب المتطرفة والتي اعتبرت أن «اللاجئين والمهاجرين المسلمين يشكلون خطرًا على المجتمعات الأوروبية ويجب مواجهتهم»، بل وتمادت بعض الأصوات المتطرفة في رفع شعارات «أوروبا خالية من الإسلام».

وترتبط **المخاوف الأوروبية** بشكل رئيسي بهاجس تحول المسلمين إلى أغلبية في المجتمعات الأوروبية بشكل كبير لتزايد أعداد المهاجرين اللاجئين وارتفاع معدل المواليد بينهم مقارنة بأصحاب الديانات الأخرى بالإضافة إلى الإسلاموفوبيا والعربوفوبيا المنتشرة في بعض الدول الأوروبية والتي قد تؤدي إلى بعض الأعمال العدائية تجاه المسلمين في أوروبا خاصة بعد انتشار فكرة أن المسلمين سيصبحون أغلبية عددية في أوروبا. ويعد المؤرخ «برنارد لويس»Bernard Lewis* من أبرز المروجين لهذه الفكرة التي تلعب دورا كبيرا في انتشار مشاعر العداء للمسلمين بشكل هيستري في المجتمعات الأوروبية (Zúquete, José Pedro, 2018, 139).

ثانيا- الصراع الفلسطيني-الصهيوني: تنقسم التيارات القومية في وسط وغرب أوروبا حول سبل التعاطي معه؛ ففي حين تُعلن بعض التيارات القومية في وسط أوروبا عن رفضها صراحة لوجهات النظر الصهيونية، بل وتتهمها، مع النخبة اليهودية العالمية، بـ«استعباد الفلسطينيين» (Zúquete, José Pedro, 2018, 139).

الخاتمة

الواضح أن صعود اليمين المتطرف في أوروبا سيدفع إلى إعادة تشكيل خريطة التحالفات السياسية في المنطقة، لكن لا تزال طبيعة تلك التحالفات وتداعياتها على الطرفين سواء الأوروبي أو غير الأوروبي غامضة، وستظل ملامحها رهينة بالتطورات التي قد تحدث على الجانبين، لأن الخطاب السياسي لليمين المتطرف ليس مجرد خطاب هامشي، بل هو سلطة ثقافية رمزية تسعى لإعادة تشكيل المجال السياسي والاجتماعي على أسس الإقصاء والتطرف الهوياتي، وتكمن خطورته في أنه يوظف لغة الديمقراطية لكنه يعمل على نقيضها. وبالتالي، فإن مواجهة هذا الخطاب تتطلب تفكيكه نظريًا، ورصده عمليًا، وبناء خطاب بديل قائم على الكرامة، المساواة، والتنوع.

يُظهر تحليل الآليات الخطابية والإيديولوجية في خطاب اليمين المتطرف أن هذا الخطاب لا يُبنى اعتباطًا أو بمنطق الانفعال فقط، بل يقوم على بنية لغوية متماسكة وإيديولوجيا متجذرة توظف أدوات الاتصال والإقناع لإنتاج واقع بديل تُعاد فيه صياغة مفاهيم مثل الهوية، الأمن، والتهديد. فمن خلال التلاعب بالمفردات، والتضخيم الرمزي، واستحضار صور الماضي وتفكيك صورة

الآخر، يتحول الخطاب إلى أداة لتوجيه السلوك الجماعي وصياغة المخيلة السياسية للشعوب.

لقد نجح اليمين المتطرف في العديد من السياقات في إعادة تشكيل النقاش العام حول قضايا الهجرة، الهوية، والدين، مستفيدًا من أزمات الثقة والتمثيل داخل الأنظمة الديمقراطية، ومن هشاشة المنظومة الليبرالية أمام خطاب يتغذى على الخوف والانقسام. غير أن خطورة هذا الخطاب تكمن في قدرته على شرعنة الإقصاء والعنف الرمزي، وتفكيك قيم التعايش والحداثة السياسية باسم الدفاع عن «**الأصالة**» و«**البقاء**».

إن تحليل هذا الخطاب، من منظور نقدي، يسمح لنا بفهم أعمق لآليات إنتاج التطرف السياسي في المجتمعات الغربية، ويفتح المجال أمام بناء خطاب مضاد أكثر عقلانية وشمولية، يستند إلى القيم الإنسانية والتعددية والاحترام المتبادل.

وفي ظل تصاعد النزعات الشعبوية في العالم، تزداد الحاجة اليوم إلى تفكيك الخطاب بدلًا من مجرد رفضه، ومساءلة الإيديولوجيا بدلًا من الاكتفاء بإدانتها، في إطار مشروع فكري يسعى إلى حماية الفضاء العام من الرداءة والردع العاطفي، وإلى إعادة الاعتبار للعقل النقدي في مواجهة سياسات الكراهية.

المراجع

- عطية، إدريس. (2022). دفاتر في الدراسات الأمنية الدولية: من المقاربة التقليصية إلى الاتجاهات الموسعة. الجزائر: دار الأمة للنشر والتوزيع.
- الطاير، يوسف. (2020). الشعبوية وصعود اليمين المتطرف في أوروبا: دراسة في الخطاب السياسي. مجلة العلوم السياسية والقانون، 6(24)، 141–156.
- زقاغ، عادل. (2009). النقاش الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
- Awan, I. (2014). Islamophobia on social media. International Journal of Crime, Justice and Social Democracy, 3(2), 42–56.
- Beck, U. (2011). La société du risque: Sur la voie d’une autre modernité. Paris: Éditions Flammarion.
- Buzan, B., Buzan, O. Wæver, O., & de Wilde, J. (1998). Security: A new framework for analysis. Boulder, CO: Lynne Rienner.
- Buzan, B., Kelstrup, M., Lemaitre, P., Tromer, E., & Wæver, O. (1990). The European security order recast: Scenarios for the post-Cold War era. London: Pinter.
- Camus, J.-Y., & Lebourg, N. (2017). Far-right politics in Europe. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Ceyhan, A. (1998). Analyser la sécurité: Dillon, Wæver, Williams et les autres. Cultures & Conflits, (31–32), 39–60.

- Donald, M. (2008). Constructivism. In P. Williams (Ed.), Security studies: An introduction (pp. 70–75). New York: Routledge.
- Huysmans, J. (1998). Revisiting Copenhagen: Or, on the creative development of a security studies agenda in Europe. European Journal of International Relations, 4(4), 479–505.
- Jahn, E., Lemaitre, P., & Wæver, O. (1987). European security: Problems of research on non-military aspects (Paper No. 1). Copenhagen: Centre for Peace and Conflict Research.
- Marchesin, P. (2001). Les nouvelles menaces: Les relations Nord-Sud des années 1980 à nos jours. Paris: Karthala.
- Macleod, A. (2004). Les études de sécurité: Du constructivisme dominant au constructivisme critique. Cultures & Conflits, (54), 13–23.
- Stritzel, H. (2007). Towards a theory of securitization: Copenhagen and beyond. European Journal of International Relations, 13(3), 357–383.
- Wæver, O. (1998). Insécurité, identité: Une dialectique sans fin. In A.-M. Le Gloannec (Ed.), Entre Union et Nations: L'État en Europe (pp. 85–100). Paris: Presses de Sciences Po.
- Wæver, O., Buzan, B., Kelstrup, M., & Lemaitre, P. (1993). Identity, migration and the new security agenda in Europe. New York: St. Martin's Press.
- Wæver, O., Lemaitre, P., & Tromer, E. (Eds.). (1989). The European polyphony: Perspectives beyond East–West confrontation. London: Macmillan.
- Wodak, R. (2015). The politics of fear: What right-wing populist discourses mean. London: SAGE Publications.
- Zúquete, J. P. (2018). The identitarians: The movement against globalism and Islam in Europe. Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press.